

مظاهر التحرر في التصوير الإسلامي من العصر الأموي وحتى نهاية العصر الصفوي

د/محمود مرسي محمد جارجي

مدرس بقسم تاريخ الفن بكلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان

مقدمة :

بالرغم من أن القرآن الكريم لم يرد فيه نص صريح يمنع ممارسة تصوير الكائنات الحية ، إلا أن بعض الأحاديث النبوية تناولت الكلام عن التصوير وحكمه ، وموقف النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة منه ، وقد دارت حول تلك القضية الكثير من الدراسات ، وتصدى لها كثير من العلماء ، وانقسموا في آرائهم ، فمنهم من يجزم بتحريمه بشكل قطعي ، ومنهم من يذهب إلى كراهته ، ومنهم من قال بإباحة بعضه وتحريم بعضه . وقد استقر رأى الكثير من الفقهاء على تأكيد ذلك بسبب الخوف من رجوع الناس إلى التعلق بالأوثان التي كانت سائدة في المجتمع فيما قبل ظهور الاسلام .

ويؤكد ذلك قول (هيجل) إن النبي صلى الله عليه وسلم – كما جاء في السنة – قال لزوجتيه أم حبيبة وأم سلمة اللتين سألتاه عن الرسوم في الكنائس الأثيوبية ، فأجاب بأن هذه الصور سوف تشكو صانعيها في يوم الحساب (Hegel، 1970)

وقد كانت لهذه الأسباب عظيم الأثر في تحديد المعايير التي قام عليها التصوير الإسلامي، والتي من أهمها كراهية تصوير الكائنات الحية ، فابتعد الفنانون آنذاك عن المحاكاة الحرفية لكل ما له روح من انسان وحيوان . ولم يكن هذا الموقف قاصر على فقهاء المذهب السني فقط بل شمل ذلك رأى المراجع القديمة للمذهب الشيعي أيضاً .

وبما أن القصد من التحريم كان إبعاد المسلمين عن عبادة الأصنام التي كانوا حديثي عهد بتركها ، فقد سمح ذلك بإباحة الصور التي كان الغرض منها الزينة المباحة ، طالما ظلت بعيدة عن المحاذير الدينية أو الأخلاقية . " فقد كان التصوير الإسلامي – كما يرى (توماس أرنولد) – وغيره من كبار المؤرخين ، يقف عند تصوير القصص الديني المتصل بشخصيات مقدسة كمحمد وعيسى وإبراهيم . ولكن هذا كان بمثابة أحد الجوانب فحسب ، ذلك أن التصوير الديني في الإسلام كان إلى جانب ذلك يهتم بالمواعظ والعبر كما جاء في كتب الصوفية ، وكذلك التخويف من النار وإلقاء الخشبة ، والترغيب في الجنة وحفز النفوس على الطاعة " (عكاشة، التصوير الاسلامي بين الحظر والاباحة - ، 1984)، وتظهر في هذه الصور فكرة التعبير الاصطلاحي السردى حيث لم يهتم الفنان بالتدقيق في ملامح الوجوه .

وبالرغم من وجود تلك الآراء المتشددة فقد أطلق المصورون لأنفسهم العنان في التعبير عن إبداعاتهم متحررين من الآراء والفتاوى ومن ثوابت المجتمع ، فتجاوزوا كل ذلك إلى تصوير مجالس الشراب وتصوير العراء والأنبياء والملائكة ، بل وصل الأمر لتصوير النبي محمد (صلي الله عليه وسلم) ، كما في لوحة البراق بمخطوطة (خمس نظامي) التي ترجع للقرن العاشر الهجري - على سبيل المثال لا الحصر- ، وهو الأمر الذي ترفضه العقيدة الإسلامية وكذلك تقاليد المجتمع ، إلا أن الفنان كما يعتقد " يقوم بعملية ابداعية تتناقض كثيراً مع الطاعة والامثال للأوامر والتقاليد المرعية ، وكونه مبدعاً يعنى أنه يقف في مواجهة التقاليد ، وضد السائد والمألوف . إنه يبذل كل جهده من أجل الوصول إلى أقصى درجات الابتكار ، ولذا فإنه يصطدم بالثبات والاستقرار والطمأنينة " (الصباغ، 2003) وتؤكد تلك الفكرة الدراسة التي قام بها كل من عالمي الاجتماع كاتل Catei وبوتشر Butcher (1967) على مجموعة من الفنانين والمبدعين لمعرفة الخصائص المميزة لهم ، فوجدوا أن بهم إنحرافات شديدة عن معايير المجتمع ومعايير عامة الناس (صالح، 2007).

والمثير في الأمر أنه بينما كان هذا النوع من التصوير يستفز قيم شريحة غير قليلة من المجتمع ، كان يلقي رواجاً وترحيباً كبيراً من طبقة الأمراء وكبار رجال الدولة ، حيث ازدهر ذلك النوع من التصوير في القصور الأموية والعباسية ، كانعكاس لحالة الرخاء ، والانفتاح على ثقافة الشعوب الأخرى ، وأيضاً في مصر في عصر الدولة الفاطمية ، كما ظهر في منمنمات (1) مخطوطات المدرسة العربية والمخطوطات الإيرانية .

(1) المنمنمة هي " اصطلاح أطلق على الرسوم التوضيحية التي رافقت بعض الكتب العربية والإسلامية ، لاسيما

(مقامات الحريري) وغيرها، ثم أصبح هذا اللون من الرسم والتصوير فناً قائماً بذاته، يمكن اعتباره نوعاً

من (التصوير الإسلامي) الذي تابعه باجتهاد فنانون رواد في مراحل تاريخية مختلفة، وفي العديد من الدول العربية

وتهتم هذه الدراسة بتناول أهم أعمال التصوير الجداري وتصوير المنمنمات التي تعكس مظاهر التحرر في التصوير الإسلامي في المنطقة العربية وإيران في إطار تاريخي خلال الفترة من العصر الأموي وحتى نهاية العصر الصفوي وكان إيذاناً باضمحلال التصوير الإيراني .

مشكلة البحث:

علي الرغم من وجود العديد من الدراسات التي عالجت التصوير الإسلامي في كافة فتراته، إلا أن الباحث قد لاحظ ندرة في الدراسات التي تتناول موضوعات قد تكون مدرجه ضمن منظومة المحرمات المرتبطة بالأراء والفتاوي المتشددة وبالمفاهيم الإسلامية السائدة في تلك العصور القريبة من عصر النبوة ، والتي تحرم الجرأة في تصوير المرأة ، كما تحرم أيضاً ظهور الشخصيات الدينية المقدسة كالأنبياء والملائكة ، وعلي هذا تتحدد مشكلة البحث في التساؤلات التالية :

هل ظهر في التصوير الإسلامي خلال الفترة من عصر الدولة الأموية إلى نهاية العصر الصفوي

- أعمال تدلل علي تحرر الفنان من الأراء والفتاوي المتشددة في الدين الإسلامي؟.
- ما مدي تأثير الحضارات (الساسانية – البيزنطية) في دفع المصور إلي التحرر من ثوابت وتقاليده المجتمع في أعماله الفنية؟.

فروض البحث:

- يمكننا التعرف علي مدي تحرر الفنان في التصوير الإسلامي خلال الفترة من عصر الدولة الأموية إلى نهاية العصر الصفوي .
- يمكننا معرفة تأثير الحضارات (الساسانية – البيزنطية) ودورها في دفع المصور إلي التحرر من ثوابت وتقاليده المجتمع في أعماله الفنية .

أهداف البحث:

- استعراض تاريخي لأهم أعمال التصوير الإسلامي خلال الفترة من عصر الدولة الأموية إلى نهاية العصر الصفوي التي تدلل علي تحرر الفنانين من الأراء والفتاوي وكذلك تؤكد تمردهم علي ثوابت المجتمع آنذاك .
 - معرفة دور الحضارات السابقة (الساسانية – البيزنطية) في دفع المصورين إلي التحرر من ثوابت وتقاليده المجتمع في أعماله الفنية .
- منهج البحث:** استخدم الباحث المنهج (التاريخي الوصفي التحليلي) .

حدود البحث:

- حدود مكانية: (المنطقة العربية وإيران) .
 - حدود زمانية: الفترة من عصر الدولة الأموية إلى نهاية العصر الصفوي
- مصطلحات البحث:** (التحرر – التصوير الإسلامي - مظاهر)

DOI:10.12816/0038046

والإسلامية، لاسيما بغداد العباسية، وإيران وآسيا الصغرى " محمود شاهين :

<http://www.museumsalama.com/vb/index.php>.2010/10/13